الأمن الثقافي والعولمة

La sècuritè culturelle et la mondialisation

سعيد عابد*
كلية العلوم السياسية.جامعة قسنطينة 3،الجزائر
Said.abed69@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:18/ 04/ 2022* تاريخ القبول:24/ 04/ 2022* تاريخ النشر: 14/06/2022

ملخص:
لقد اسقط عصر العولمة الحدود الثقافية والجغرافية والسياسية الإقتصادية والإجتماعية وافرز تحديات خطيرة تهدد الأمن القومي والثقافي للدول بمفهوم المغلوب مولوع بالغالب وإعتناق ثقافته ما يستدعي العمل بالسرعة القصوى لبناء مفهوم الأمن الثقافي وتوحيد الجهود وتنظيم القدرات لمجابهة تحديات العولمة التي تهدد الأمن الثقافي والقومي على حد سواء.

الكلمات المفتاحية:
الأمن الثقافي، الأمن القومي، العولمة، تهديدات العولمة .

Abstract:
L'ère de la mondialisation a fait tomber les frontières culturelles, géographiques, politiques, économiques et sociales et a créé de sérieux défis qui menacent la sécurité nationale et culturelle des pays avec le concept de vaincu, aime emiter le vainqueur et embrasser sa culture. Cela appelle à travailler avec la plus grande rapidité pour définir le concept de sécurité culturelle, unifier les efforts et organiser les capacités pour faire face aux défis de la mondialisation qui menacent à la fois la sécurité culturelle et nationale.

Keywords:
sécurité culturelle, sécurité nationale, mondialisation, menaces de la mondialisation.

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

يعد الأمن الثقافي ركيزة أساسية من ركائز الأمن القومي لأي بلد ويعني تحرر الإنسان من التهديدات الشديدة في مجال الثقافة والحضارة والتراث المادي والمعنوي المكتوب وغير المكتوب والقيم الاجتماعية المنتشرة والممتدة زمنيا في حياة وحرية وبيئة الفرد والجماعة، ويتحدد مستوى الخطورة في الشدة والمدى والإمتداد الزمني واتساع النطاق والقدرة على المواجهة، ويكتسب مفهوم الأمن الثقافي أهمية بالغة لأنه يرتبط بامتيازات تتصل بطبيعة بناء المجتمع والدولة والحفاظ على الشخصية والهوية في مواجهة سياسات الإحتواء من الآخر من جهة ، ومن جهة أخرى تأمين الأمن الثقافي والقومي من التهديدات التي تهدف إلى الضغط عليه وعزله عن ثقافته وشخصيته وهويته والغائه وجوده إن أمكن خصوصا إذا لم تكن للمجتمع وسائل المواجهة والدفاع عن التراث في ظل تحديات العولمة الثقافية التي استباحت وتستبيح ثقافات وهويات الشعوب المستضعفة والقابلة للاحتواء نتيجة النزاعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تجعلها عديمة الجدوى في مقاومة التهديدات الثقافية المختلفة.

وقبل التطرق إلى مفهوم الأمن الثقافي بشكل رئيسي نطرح الإشكالية التالية لهذه الدراســة وهـي كالتالي:إلى أي مدى يساهم فهم مختلف تهديدات العولمة الثقافية في تحديد مفهوم الأمن الثقافي ؟

ما هو مفهوم الأمن الثقافي والعولمة الثقافية؟

ما هي أهم التحديات التي أفرزتها العولمة كمهدد للأمن الثقافي؟

هل هناك حلول تمكننا من الوعي لمواجهة تحديات العولمة الثقافيـة بكل أشكالها للحفاظ على الأمن الثقافي؟

للإجابة على هذه الأسئلة استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي من خلال تحديد مفهوم الأمن الثقافي والعولمة الثقافية وتحليل تأثير التحديات التي أفرزتها العولمة على الثقافة.

1-مفهوم الأمن الثقافي:

1.1. تعريف الأمن لغـة:

الأمن كلمة لاتينية مشتقة من لفظ Sécuritas سكيوريتاس، التي تعني الهدوء والتحرر من فقدان شيء ما أو تلفه(richard, jon, bryan, & karen, 2010 p5) ، وفي اللغة العربية مصدره أمن الأمان والأمانة، وقد أمنت فأنا آمن، وأمّنتُ غيري من الأمن والأمان ضد الخوف (الفيروز ص199) وتعني اطمئنان النفس والسكينة والهدوء، وزوال الخوف، ومنه الإيمان والأمانة، لقول الله تعالى "وآمنهم من خوف"، ومنه "آمنة نعاسًا"، و"إذ يغشيكم النعاس آمنة منه"، "وهذا البلد الأمين"، أي الأمن يعني مكة وهو من الأمن (منظور، 2003ص75).

2.1. تعريف الأمن اصطلاحا:

تعرفه دائرة المعارف البريطانية بأنه حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية، وما دامت الفوضى والصراعات تسود النظام العالمي فإن الدول الكبرى تملك القوة العسكرية بمختلف مجالاتها فإنها حتما مجبرة على إظهار قوتها لباقي الدول، وهذا جزء من حماية أمنها وتهديد وجودها(helene, 1999p6)

ويعرف **"آرلوند وولوفر"** الأمن القومي بعدم وجود تهديد للقيم المكتسبة، أما أكثر التعريفات تداولا هو تعريف "باري بوزان"، الذي يعرف الأمن بأنه العمل على التحرر من التهديد.

ويعرفه أحد المختصين بأنه القدرة على الحفاظ على كيان المستقبل والتماسك الوظيفي دي قوى التغيير المعادية ويعني كذلك التحرر من الخطر ومواجهة الأخطار والتهديدات وتحجيمها وتفتيتها واعتماد إجراءات لتحييده واحتوائه.

أما **"الكوراني"** فيرى بأن الأمن مرتبط بالتحرر من الخوف واحترام الكرامة الإنسانية، أما **"المشاط"** إلى أن المفهوم الأوسع للأمن رهن الازدهار المادي بالتوازن والتوافق في المجتمع، ومما سبق يتبين أن هذا المفهوم من أصعب وأعقد المفاهيم نتيجة الغموض الأمر الذي أدى إلى غياب التوافق حول جميع الحالات والعناصر التي تحيط بالمفهوم.

وانطلاقا من هذه التباينات الحاصلة نجد في هذا المعنى بأنه التحرر من التهديدات الشديدة والمنتشر والممتد زمنيا وعلى نطاق واسع، ووفق هذا التعريف نستشف من منظومة محددة المعالم وأن الحرية هي القيمة المحورية عندما تتعرض للتهديد من الداخل والخارج، ومن أجل قوى داخلية وخارجية كذلك مجموعة من التهديدات والأخطار مثل فرص العمل والدخل المناسب والغذاء والرعاية الصحية والعلاقات الملتهبة بين الجماعات المحلية ذات الهويات المختلفة ودور الدولة في حالة حمايتها من العدوان الداخلي والخارجي وتأمين الفرد من التهديدات الشخصية، وهناك عوامل تتحكم في درجة التهديد والخطورة، هـي: الشدة والمدى والامتداد الزمني واتساع النطاق والتأثير في قدرة الناس على البقاء.

في المحصلة بالنسبة لمفهوم الأمن أنه على حسب اتجاهات الكتاب والأكاديميين يرتبط بقطاع واسع من المجالات فمنهم من يرى بأن مفهوم الأمن يرتبط بالفرد الذي هو محور الأمن الإنساني الذي لا حدود لـه.

وأن هذا الأمن الخاص بالإنسان هو الامن الشخصي الذي يرتبط بالرفاه والحرية والكرامة، والحقوق في حين يرى البعض بأن جل العملية تتمحور حول أمن الدولة أو الأمن الوطني والتهديد الخارجي، في حين يرى آخرون في نفس السياق أن مصدر التهديد الأكبر لأمن الإنسان من الدولة التسليطية، ومهما ازداد الخلاف حول هذه المفاهيم المرتبطة بالفرد والإنسان أو الجماعة أو العدوان الخارجي أو الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلا أن كل هذه المفاهيم تكمل بعضها البعض، فأمن الإنسان أولا يؤسس لدولة ديموقراطية تحترم حقوق الإنسان، وبالتالي يؤسس لدولة مدنية قوية الروابط تحفظ الأمن والاستقرار، انطلاقا من مقولة الأمن الداخلي ضمان للأمن الخارجي، ولكن هل هذا مطلق لا يمكن الجزم بهذا لأن أمن الإنسان واحترام الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية لا يعد كافيا فهل احترام هذه الحقوق السالفة يحمي من الكوارث الطبيعية مثل التسونامي كالذي حدث عام 2004م، وتأثير ذلك على الملايين من الناس بدون مأوى ومن الضحايا والآلاف من الموتى، وعليه فالأمن الذي نراهم عليه هو الذي يرتبط بكل مجالات الحياة وتفاعلاتها، وعلى مستوى الفرد والجماعة أو الدولة، مع أخذ كل الوسائل وتنظيم وإعداد القدرات على مستوى التنمية لمجابهة تحديات الحاجات والمخاطر وتفتيث عناصر الهشاشة حتى لا تجتمع لتكون حالة من التهديد مهما كان نوعه داخليا أو خارجيا يخض الفرد أو الجماعة أو الدولة أو أي عامل آخر قد يكون المسبب أو يساهم في تشكيل التهديد على الأشخاص والجماعات والشركات داخل الدولة(richard u. , 1983p133) .

3.1. مفهوم الأمن المعولـم:

لقد تغير العالم وتغيرت معه المفاهيم، فقد توسع مفهوم الأمن من الأمن القومي التقليدي المرتبط بالسيادة والحدود الجغرافية إلى الأمن السياسي والاقتصادي الاجتماعي وما يتفرع منه من أمن غذائي وصحي وثقافي، وبفعل الثورة التقنية المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي أفرزت مجموعة من التغييرات والتفاعلات التي تحدث بين المجتمعات والدول، وما زاد في تفقديها ظهور مفاهيم جديدة وظواهر عابرة للحدود أفرزتها العولمة والثورة التكنولوجية في مجال المعلومات والاتصالات، أين أصبح الأمن لا يرتبط بالقدرة والحفاظ على الهوية والوحدة الوظيفية للدولة بل بما تواجهه من تهديدات عابرة للحدود مثل الإرهاب والكوارث المختلفة وندرة الموارد والركود الاقتصادي والتلوث وتغيير المناخ وتهديد البيئة وصراعات الهوية والأوبئة الفتاكة على شاكلة كورونا وأخواتها التي أصبحت تنشر الرعب والموت في كل مكان وتتصيد المشهد الأمن العالمي ولا تفرق بين

دولة متقدمة وأخرى متخلفة، فما يصيب دولة قد يؤدي إلى كوارث في كثير من الدول وقد تنتقل ليصبح عالميا مثل وباء فيروس كورونا المستجد.

2. مفهوم الثقافة:

1.2. تعريف الثقافة لغة:

تعني كلمة ثقافة زراعة الأرض وتقود الكلمة إلى اللاتينية، وتعني في اللغة العربية حدق أو فطن فهو ثقف وثقف الشيء سوّى المعوج منه، وثقف الإنسان أدّبه وعلّمه (نيكي، 2005ص210-211).

2.2. تعريف الثقافة اصطلاحا:

تكمن الصعوبة بالنسبة للمصطلحات في تحديد مفهوم واضح ودقيق لأي مصطلح كان، وقياسا عليه غير مصطلح الثقافة يعاني من غياب الدقة والتحديد لأنه له عدة معاني مختلفة.

ففي القرن 16 كان مرادفا لكلمة الذاكرة أو العقل، ويرى إدوارد إيريو edward herriot أن الثقافة هي الشيء الذي يبقى في الإنسان عندما ينسى كل ما سواه.

ويبين شين shein في نموذجه الخاص بالتمثيل الاجتماعي أن الثقافة تشمل المعتقدات والافتراضات المشتركة التي تشمل الميزة للثقافة على مستوى الجماعة أو الدولة، وهذه الافتراضات تشمل القيم والرموز والشعارات والنوادر والتنظيم والتمثيل والمشاركة (شرفي، 2013ص192).

كما تعرف الثقافة بأنها ذلك النسيج الكلي المتمثل في الأفكار والاتجاهات ومنظومة القيم وطريقة التفكير والعمل وأساليب الإدارة وآداب السلوك التي تحكم جماعة من الأفراد وكذلك اللغة ونمط العيش وما تضمنه من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وعلاقات التواصل بين الفرد والفرد، وبين الفرد والجماعة، وبين الفرد وخالقـه(rocher, 1992p5)، فالثقافة تجمع الجوانب المادية كالعمران واللباس والصناعة والجوانب المضمونة كأساليب العيش والتفكير والمعتقدات والمعرفة والأفكار التي يتعلم من خلالها الفرد كيف يعيش في مجتمع معين.

3. مفهوم العولمة وتطورها:

1.3. التعريف اللغوي:

جاء في قاموس وبستر بأن العولمة تعني إعطاء طابع العالمية للشيء وجعل مجال تنفيذه يأخذ بعدا عالميا (عقلة عرسان، 1998)، أما قاموس أكسفورد فقد وثقه عام 1991م، معبرا عن هذا المصطلح بأنه جديد (dectionary of world orogin librairie du liban, 1985p111)

أما على مستوى اللغة العربية فيمكن الاشارة إلى كثير من الباحثين والاكـاديميين العرب استعملوا هذا المصطلح الجديد في كناياتهم في اللغة العربية بمعاني مختلفة انحصرت بين الكوننة والكوكبة والعولمة نتيجة للاختلاف في الترجمة وكون هذا المصطلح جديد ينشأ في بيئة غربية ويعبر عن فكر وواقع غربي مغاير تماما للواقع العربي (صنفي و جلال العظيم، 1999ص226).

2.3. التعريف الاصطلاحي:

لا شك أن العولمة ظاهرة متعددة الأوجه ومعقدة جدا، ولعل أول من أشار إلى مصطلح العولمة أو الكوننة هو العالم الكندي مارشال ماك لوهان أستاذ الإعلام السوسيولوجي في جامعة "تورنتو"، حيث صاغ في نهاية عقد الستينات مفهوم القرية الكونية في كتابهWar and peace in the global willage اعتمادا على بيانات الإعلام التي تشير إلى أن أمريكا يمكن أن تكون نموذجا كونيا للحداثة، وهو يروج للقيم الأمريكية كالحرية وحقوق الإنسان خاصة بعد إزاحتها للإيديولوجيات الاشتراكية (علي وردم، 2003ص40).

وفي آخر 10 سنوات من بداية القرن الواحد والعشرون ساهم النقاش والاهتمام الخاص بمفهوم كل من الفكر والنظرية والخطاب السياسي الدولي، بحيث أفضى هذا النقاش إلى تطوير وجذب الأفكار لهذه العوامل باتجاه الواقع الدولي بكل أبعاده، وتصدرت ظاهرة العولمة بكل هذه العناصر لتكوّن لنا مركب ثلاثي الأبعاد يهيئ نفسه لِتَسَيُّدْ المشهد العالمي في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي، والتي أفرزت مجموعة من المظاهر والأبعاد هي كالتالي:

1- عولمة رأس المال الذي تأثر بنمو البورصات العالمية والبنوك وزيادة الاتصال والتفاعل بين الأسواق المختلفة.
2- الثورة الهائلة في مجال تكنولوجيا الاتصال والانتقال الذي قرب المسافات والتباعد في الجغرافيا، وتطور وانتشار وسائل وشبكات التفاعل والتواصل بين الناس على شبكة الانترنت والمنصات الالكترونية.
3- عولمة الثقافة وتزايد التفاعل والاتصال والتعاون بين الحكومات والمؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية والجماعات والأفراد وانعكاس ذلك في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي، مما أدى إلى إفراز تحالفات قوى اجتماعية دولية على المستوى العالمي.

أ- إن البحث في منهج العولمة أصبح عملية صعبة لتشعبها وتعدد مفاهيمها من قبل الباحثين والمفكرين كل على حسب اتجاهاته وانتماءاتـه الأيديولوجية، وكترجمة لمصطلح العولمة جرى طرح ثلاث كلمات هي الكوكبة والعولمة والكوننة.

فهناك المؤيدون مثل فرنسيس فوكوياما وآلان جريسبان رئيس هيئة الاحتياطي الفيدرالي، وهناك المعارضون مثل: جريمي بريتشر وأنتوني جيدنز صاحب كتاب "عالم منفلت" ونعوم تشومسكي وبريت أولاخ وما يكل شيستر في كتابهما "إعادة التفكير في العولمات".

وبالنظر إلى قطاعات الاهتمام فالاقتصاديون يرون أن العولمة هي حرية الاقتصاد وانتقال رؤوس الأموال والسلع والخدمات دون قيود بين الدول والأسواق، يراها السياسيون انتهاء الإغلاق والحدود بين الدول لتكون بعدها حكومة عالمية واحدة على أنها سيادة ثقافة واحدة على جميع ثقافات العالم المختلفة وهويات الشعوب مما يؤدي إلى ذوبانها.

أما الاجتماعيون فيرون بأن العولمة ستفضي إلى تقسيم العالم إلى فئة أغنياء وفئة فقراء، مما يؤدي إلى الفقر والبطالة والمخاطر والآفات الاجتماعية.

فالعولمة هي نظام عالمي يقوم على تحرير الأسواق والفضاءات الاقتصادية والتبادلات التجارية والمالية والخدمية وإلغاء الحدود الثقافية والقيمية والجغرافية والسياسية وتعميم الشيء ليشمل الكل، ويخضع في تطوره إلى النظام الرأسمالي، ويعرفها آلان جريسبان العولمة بأنها تزايد التبادل ما بين الناس في العالم من خلال الأنظمة الاقتصادية الوطنية العالمية.

أما فرنسيس فوكوياما فيرى بأن العولمة ظاهرة اقتصادية لها خصوصيات وأهداف مرتبطة بأصحاب المصالح الرأسمالية، والتطور التكنولوجي والمعلوماتية للاستمرار في التقدم والإنتاج والشفافية.

أما في الفكر العربي فقد عرف صادق جلال عبد العظيم العولمة بأنها: حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها في ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتنافي ونقل دائرة الإنتاج الرأسمالي من المركز إلى الأطراف.

ويستخدم عمر وعبد الكريم مقاربة اجتماعية في تعريفه للعولمة بأنها كل العمليات التي بها تكتسب العلاقات الاجتماعية نوعا من عدم الفصل بين تلاشي الحدود وتلاشي المسافة، حيث تجري هذه العلاقات في مكان واحد هو قرية صغيرة تعتمد على التحديث والمعلوماتية والاتصال واستمرارية التقدم التكنولوجي.

بينما يرى محمد عابد الجابري بأن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التعدد الرأسمالي وإنما هي الدعوى التي تبنى نموذج الأمركة مستخدمة في ذلك السوق العالمية للإخلال بالتوازن في الدول القومية بالاعتماد على الإعلام في التفسير، فهي نفي للآخر واختراق ثقافي للسيطرة عليه.

ومن أهم المعارضين للعولمة والمنتقدين لها "أنتوني جيدنز في كتابه "عام منفلت" بأن العولمة هي حركة تتسم بالانقلاب والتموج بكل الاتجاهات ومن دون سيطرة للبشر وقد حوّلت العالم من قرية صغيرة معولمة، إلى عملية نهب عولمة صغيرة للبلدان الفقيرة.

وفي مذكرة حول العولمة أصدرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، تشير فيها إلى أن العولمة باتت تشكل خطرا على مبادئ العهد الدولي لحقوق الإنسان.

مما سبق نستنتج أنه لا يوجد مفهوم واحد للعولمة على مستوى الباحثين والمفكرين الذين خاضوا وغاصوا في المفهوم وخفاياه وما ورأوه ما بين مناصرين له ومعارضين من الصنف "أ" أو الصنف "ب"، ولكن الأهم هو الغموض الذي مازال يحيط بمفهوم العولمة رغم ما قيل عنه ومحاولات تحليل وكشف أبعاده وتأثيراته وتفاعلاته المستمرة والمتغيرة.

وهذا ما يزيد من مستوى التعقيد في إيجاد تعريف دقيق وشامل ومقبول نتيجة الاختلاف في المنطلقات الأيديولوجية التي تتدخل في البناء المعرفي للباحثين والفكرين ورفضهم أو قبولهم للعولمة (باحثين، 2000ص25).

في المحصلة يمكن القول بأن العولمة هي ظاهرة وحركة شديدة التعقيد ترتكز على تفاعلات الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية والثقافية والبيئية، والتي تؤثر تأثير شديدا وسريعا على حياة الأفراد والمجتمعات والدول والبيئات ضمن مجال حقل النشاط الدولي والإقليمي والمحلي، وتلغي كل الحدود المرئية وغير المرئية و تنظم في شبكة معقدة من العلاقات (بن عنتر، 2002ص71).

يقول بيتر آل بيرغر في كتابه "عولمات كثيرة مع صامويل هنتغتون" إن المستقبل يشهد حربا ثقافية بامتياز، وغيره كثير من المفكرين الغربيين الذين يعتقدون بأن العالم مُقْبل على فترات رهيبة وصراع ثقافي وحروب تسعى لغزو العقول والقلوب قبل غزو الجغرافيا والشعوب.

لقد غيرت العولمة طريقة التفكير والوسائل الخاصة بالاستعمال الجديد، وهذا الأخير لم ينتهي إلى الأبد بل غير في أسلوبه فقط، حيث كان يستعمل القوى العسكرية بكل خسائرها فأفقدته التوازن والسيطرة وحررت المجتمعات من جديد، فكان لا بد من اللجوء إلى الحرب الناعمة التي تغنيه عن الخسائر المادية والبشرية وتعطي له السيطرة ليس على موارد الشعوب والدول فقط، بل تعطي له السيطرة على قلوب ولقول النخب والشعوب من نقر الأخطر في العولمة الثقافية هو احتكار المعلومات ووسائل الاتصال العابرة للحدود الوطنية للشعوب وللحدود الشخصية للأفراد.

ومعنى هذا توجيه وتكثيف الغزو الثقافي المعولم بكل تركيزه وترسانته التقنية لانعدام التعدد والتنوع الثقافي والأخطر من ذلك ترسيخ ثقافة واحدة مهيمنة على كل الثقافات وشبكات التواصل من أجل تفتيت الثقافات الأخرى وتكوين أجيال ممسوخة ومعزولة عن هويتها الثقافية وما تجد به من اللغة والدين والعادات والتاريخ والتقاليد، لتكون معاول هدم الثقافة الوطنية لتأسيس وبناء ثقافة الغالب والمنتصر عن طريق غرس نخب تتصارع فيما بينها وتبدأ هذه الهيكلة بالتشكيك في اللغة والدين والتاريخ وعناصر الهوية الثقافية، وأنها هي سبب

الانحطاط والتخلف الذي نعيشه في جميع المجالات، وبعدها تبدأ الحرب الثقافية على كل الجبهات في الشارع وعلى مستوى البرامج السياسية والاعلام ويصبح المجتمع متقسم إلى تيارين متحدين.

فالثقافة الرأسمالية هي الهيمنة هي التي تضمن البقاء والقدرة على الاستمرار وإنتاج القيم الثقافية الجديدة والأجيال الجديدة، والأوراق الجديدة وترسم حدود جديدة لا ترتبط بالجغرافيا ولا بالتاريخ، وطن جديد بهوية جديدة تبنيه شبكات الاتصال والتواصل على سبيل المثال meta verse، الذي يأخذك من واقع مزري إلى عالم جديد افتراضي يوفر لك المتعة وتتواصل مع أناس تراهم وتتكلم معهم بالصوت والصورة وهم معك مقربين منك يتحدثون إليك.

وبعدها تبدأ الحرب الثقافية على كل الجهات في الشارع وفي المدرسة الجامعة والمصنع وفي الملعب وعلى مستوى البرامج وفي الاعلام والحصص التلفزيونية ويصبح المجتمع متقسم بين تيارين متناحرين يتقاذفان التهم والكراهية وإلغاء الوجود.

فيصبح هذا التأثير المنسلخ من مجتمعه وثقافته ويمارس حرب بالوكالة، ويصبح الصراع صراع وجود والنضال من اجل قيم وحقوق الانسان وتحرير المرأة وحقوق المثلية.

في هذا الفضاء تنمو القيم الرأسمالية لتحولها العولة إلى ثقافة بداية تخطط للاستشارة والتسيير عبر إضعاف روح المقاومة لدى الثقافات الوطنية.

4. العولمة الثقافية:

إن مفهوم العولمة الثقافية يتوافق مع ما دعى إليه العالم الكندي مارشال ماك لوهان، حيث صاغ في نهاية عقد التسعينات مفهوم القرية الكونية Global villageاعتمادا على تملكه أمريكا من مواصفات يجعلها نموذج كونيا للحداثة، ونشر القيم الأمريكية كالحرية وحقوق الإنسان، وهذا يعني أن العولمة الثقافية تعني إلغاء الحدود والحواجز الثقافية بين الدول والمجتمعات، بهدف جعل العالم قرية صغيرة من خلال الثورة التكنولوجية في مجال الاتصالات وشبكات الأنترنت.

كما تعني محاولة مجتمع ما أوجهه ما تعميم نموذج ثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على القيم الثقافية والحضارية للمجتمعات، إلى العمل على التوحيد النمطي للثقافة العالمية وإخراج الصور المحلية واستبدالها بهيمنة الثقافة الغربية الأمريكية، أمام ضعف الصناعات الثقافية المحلية.

في النهاية العولمة الثقافية تعبر عن الهيمنة والسطو لثقافة ما على الثقافات الأخرى، فتقوم بإخضاعها عن طريق تدمير وتشويه الثقافة الأخرى، وهذا درع من الغزو الثقافي الناعم لاستعمار جديد غيّر الشعوب فقط تخلى عن القوة العسكرية وإخضاع الشعوب بالقوة، واستبدالها بوسائل الجذب الناعمة لوسائل الاتصال والتكنولوجيا والإعلام.

5.مسار العولمة:

عدد فريد بريك جيمسون خمسة أبعاد رئيسية للعولمة: هي البعد التكنولوجي والسياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وكل هده الأبعاد، ترتكز في عملها على المسار الذي ينتمي إليه، فحسب الكثير من الأبحاث والدراسات حول العولمة الثقافية تبين أن مستقبل الصراع في مجال الثقافة سيكون كغيره من الأبعاد الأخرى محكوم ومرتبط بمدى قوة المعلومات التي تحوزها أي دولة في جميع المجالات على حسب أطروحة "ألفن توفلر"، بأن ثورة المعلومات هي التي تصوغ مستقبل العالم، فوجود كثير من المعلومات يساعد في نقل الخبرات والمعلومات للاستفادة منها في التسيير وتطوير الوسائل للزيادة في معدل الإنتاج ومستوى جودته سواء كان ذلك على مستوى الدولة أو المؤسسة الإدارية والاقتصادية، وما يثير الوضع البائس لاقتصاديات الدول المختلفة يعود أساسا إلى عدم التحكم في المعلومات وقلّتها، وعدم تداولها بشكل شفاف على كل المستويات وإلا فكيف نفسّر

التجادبات السياسية حول مصدر وباء كورونا بين أمريكا والصين لمعرفة المعادلة الجينية لفيروس كورونا، أو ما يحدث الآن في تركيا حول سقوط الليرة أمام الدولار، وتعافيها مرة أخرى بعد تصريحات أردوغان في يوم واحد، لا شك أن المعلومات هي التي تصنع الفارق في هكذا أزمات.

ويمكن القول أن العولمة سلاح خطير يفتت الثقافة الوطنية والهوية ويدمر ركائزها ومع تزايد الضغوط واستمرار الغزو الثقافي في المركز على المؤسسات الثقافية أفقيا واستعمال كل تقنيات العولمة من فضائيات الإعلام والإنترنت وكل الوسائل النفسية الأخرى لإعادة بناء القيم وتشكيل الوعي الاجتماعي من جديد حسب ثقافة الغالب.

وإذا أخذنا نموذج الولايات المتحدة الأمريكية في صادراتها الثقافية من الأفلام والسينما والموسيقى وبرامج التليفيزيون وشبكات التواصل والإنترنت فلا شك أن صادراتها الثقافية تسبق صادراتها في المجالات الأخرى، ويوجه هذا الكم الهائل من التراكم إلى مختلف دول العالم المتقدمة والمتخلفة على حد سواء لكن الاختلاف في وجهة النظر فمثلا فرنسا أو ألمانيا تعتبر العولمة الثقافية خطر استراتيجي ينذر بضياع هويتها الثقافية الوطنية، حتى أن دول العالم الثالث لا تقوم بالمقاومة أمام هذه الإمكانات الهائلة للولايات المتحدة الأمريكية فتقف في وضع المتلقي.

فحسب إحصائيات منظمة اليونسكو فإن الجزائر وتونس مثلا تستوردا نصف إجمالي البرامج الثقافية بالنسبة لشبكات التلفزيون، وهذا الوضع ينذر بالخطورة في شمال إفريقيا وعموما باعتبار المعركة خاسرة وتهدد الهوية الثقافية التي هي حق من حقوق الإنسان.

6.تهديدات العولمة على الأمن الثقافي:

1.6.الدين:

يعد الركن الأساسي لمقومات الثقافة وباعتبار الدين ينظم حياة وسلوك المجتمعات وتوجيه الحرب على الدين والقيم من قبل الدول الغربية يهدف إلى تغيير القيم الدينية للإسلام بقيم غربية في إطار العولمة وتصوير أن الاسلام جاء يستعبد المرأة وأن المسلم إرهابي.

وكل هذه السياسات تدرس في المناهج التربوية وفي الاعلام المرئي والمسموع والمكتوب في الولايات المتحدة الأمريكية وباقي الدول الرأسمالية.

حيث أصبح العداء للإسلام في الغرب ظاهرة خطيرة بلغت دورتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

وقد تصل إلى محاولة تغيير الدين بتأسيس دين جديد تحت مسميات مختلفة بهدف تجميع مجموعة من الأديان تحت سقف واحد حتى يسهل تدميره مع مرور الوقت، ومثال ذلك مشروع الدين الجديد الذي يسمى الدين الابراهيمي الذي يضم الإسلام واليهودية والمسيحية.

2.6.اللغة:

تعتبر اللغة بشكل عام الوسيلة الأفضل للتواصل والتعبير عن المشاعر والاحتياجات الخاصة بالفرد والجماعة وأحد أهم عوامل البقاء في الحضارات والثقافات وقيام الدول وإنشاء المجتمعات تمثل أحد أهم مظاهر التماسك الاجتماعـــــي.

وتواجد اللغة العربية كغيرها من اللغات تهديدات كثيرة داخلية وخارجية، تحت مضلة العولمة، بحيث تتوجه وسائل الإعلام باللغات الأجنبية بالتشكيك في الهوية العربية ونشر الثقافة الغربية، وجعلها نمط للتفكير سائد أيضا إلى ذلك عولمة اللغة الإنجليزية وتسيدها المشهد الثقافي العالمي في الاعلام وشبكات الإنترنت.

ويؤكد الواقع أن الدول التي تتكلم لغتين فما أكثر في مناهجها التربوية والجامعية، أصبحت تعاني مشاكل في الهوية بعد نشأة نخب فرانكفونية،محلية تدافع عن اللغة الفرنسية وتدعو إلى التخلي ليس على اللغة العربية فقط،

بل على كل عناصر الهوية الوطنية والتشكيك فيها، يضاف إلى ذلك العصبيات المرتبطة باللهجات المحلية التي تطالب بترقية اللغات واللهجات المحلية والجهوية، إلى لغات وطنية وهذا ما يسرع في عملية تدمير الهوية الثقافية واللغوية.

3.6.التاريخ:

هو ذاكرة الشعوب والثقافة التي تورث للأجيال اللاحقة من أعمال وآثار وثقافة فتساعد على بناء الحاضر وتنير طريق المستقبل.

يقول الباحث أحمد داوود بأنه أخطر العلوم الإنسانية شأنا لأنه يختص نشاط الأمة الروحي والمادي، فالتاريخ هو جزء من الأمن القومي للأمة.

ولعلّ أبرز ما يبرر ما نقول هو تصريح الرئيس الفرنسي يوم 2 أكتوبر 2021م، ويطرح السؤال هل هناك أمة جزائريـة قبل الاستعمار الفرنسي، ولكنه الاستعمار دائما ينحاز إلى الجلاد، فهل نسي ماكرون الدولة الجزائرية التي كانت تفرض الضرائب على بريطانيا وهولندا وإسبانيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية وبلده فرنسا، التي كانت في ظلام الجهل والعبوديـــة.

خاتمة:

إن هوية الشعوب تعد بمثابة كتاب مفتوح أمام التاريخ والقوة التي تحركه، وبما أن العولمة هي حركة عالمية للتحكم والسيطرة على الدول والشعوب والعمل على تفسير ثقافتهم وسلوكهم وفق ما تمليه العولمة الثقافية التي تسعى إلى تدمير الهويات التي تعترض طريقها وتدويبها وكتابة وتلقين هذه الأجيال الجديدة القيم الجديدة التي تنشرها، من خلال استراتيجيات التدمير من الخارج بالضغط وتوجيه وسائل الإعلام والإتصال، وكذلك من خلال إثارة النزاعات الداخلية المتعلقة بالهوية نتيجة سوء تفسير للمورث الثقافي أو التشكيك فيه أو لأي سبب آخر.

ومن أجل حماية الأمن الثقافي الوطني الذي هو جوهر الأمن الوطني القومي لا بد من تزويد المجتمع بكامل فئاته العمرية بالحوافز الدافعة للعمل والتعاون والمشاركـة بكل عدالة وشفافيـة، وإعادة توجيه العمل القاعدي للأسرة والمدرسة والجامعـة والمسجد وتجديدها حسب التوافق بين قيمنا والواقع الذي نعيشه، وأن تكون الدولة هي التي تشرف على هذه الجهود بكل حزم وصرامـة بهدف مجابهة أي تهديد للعولمة الثقافيـة من جهة ، ومن جهة أخرى بناء الأمن الثقافي الوطنـي بكل مقوماته و اطيافه المحلية واتجاهاته وابعاده، لأن الأخطار التي تهدد الأمن الثقافي تتجدد وتتطور باستمرار، ومن الضروري تجديد آليات الحفاظ على الأمن الثقافي ووسائل الدفاع عنه بصورة مستمرة،والحرص على التوزيع العادل للقيم الثقافية والانسجام والتوافق و الوحدة ،ونبدالاقصاء والعنف والفرقة خاصة امام تسارع الثورة الرقمية والمعلوماتية ووسائل التواصل بكل أشكالها وامكانياتها حتى لا ندعها تكون الشريك للأسرة والمدرسة والمجتمع بكل مؤسساتـه للتأثير وتلقين الناشئة والأطفال، القيم الثقافيـة الدخيلة لإحداث الاختراق الثقافي والفكري في عقول وسلوك شبابنا، وإخضاع العالم لثقافـة موحدة عالمية في شكل منظومة أخلاقيـة واحدة تلغي التنوع والتعدد.

الحلول المقترحة:

- تطوير اللغة وترقيتها وتشجيع الأبحاث.
- إنشاء مراكز إسلامية تتلاءم مع معطيات هدا العصر الجديد.
- تحديد رؤية استراتيجية طويلة المدى للتعامل مع العولمة وإفرازاتها و رصد كل الإمكانيات اللازمة لذلك.
- تشجيع الدراسات الاجتماعية التي ترصد ارهاصات وعوامل التغيير وتطور المجتمع الجزائري إقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبيئيا وتأثير دالك على القيم والسلوك والمنتوج الثقافي وكيفية التعامل مع الأخر واختيار وسائل الوقاية والحماية والمواجهة في حالة التهديد الثقافي الخارجي.
- إعادة تنظيم الأسرة والمدرسة والمسجد وفق الحاجات الاجتماعية.
- البقاء أكثر وتحفيز المؤسسات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية.
- ضرورة فهم مبادئ العولمة والافتراضات التي يقوم عليها.
- تدريب الشباب على آليات التعامل معها.
- وضع ميثاق للهوية في الجزائر يتعامل مع الهويات والعصبيات بشفافية، وعدالة ومن مسافة واحدة.
- إطلاق حوار اجتماعي بين مكونات المجتمع حول تهديدات العولمة وما تضمنتـه.
- الاستفادة من مكتسبات الثورة التكنولوجية للمعلومات والاتصالات.

قائمة المراجع:

الكتب:

- باتر علي وردم، العالم ليس للبيع، أصلية للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
- حسين صنفي وصادق جلال العظيم، ما العولمة، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1999.
- محمد بن يعقوب الفيروز أيادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، 2005.
- ابن منظور لسان العرب، المحور الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث، 2003.
- نيكي هابيس، إدارة الفريق/ استراتيجية النجاح، دار المريخ، الرياض، 2005.
- مجموعة باحثين "العرب، العولمة، بيروت مركز دراسات، الوحدة العربية- أفريل 2000.

الكتب باللغة الأجنبية:

-Dectinary of wold origin librairie du liban beirut, 1985.

-Gay Rocher « la notion de culture, introduction a la sociologie générale premier partie, canada 1992.

-Richard A- Mattlaw, jon Barnett, Br yan Mc Donald and karen L.O Brien global Environnemental change and puman Securities, the Mit press Cambridge, Massachusetts London, En gland, 2010.

المقالات:

- شرفي رجيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وخدمات العولمة، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، 2013.

- عبد النور بن عنتر الدول والعولمة وظهور مجتمع مدني عالمي، مجلة شؤون الأوساط، العدد 107، 2002.
- علي عقلة عرسان "العولمة والثقافة"، مجلة الفكر السياسي، العدد 4، 1998.

المقالات باللغة الأجنبية:

. -Richard H.ullman, Redifining sécurités, international sécurité, vol, 8, N°=1, sommer 1983.
-Héléne Viau, lathorie critique et le concépt de sécurité en velaturis internationales note de recherche CEPES, université dequébec a montrécl, N°= 08-janvier 1999